صفحة من كتاب

مع الغـــروب

للأستاذ شكرى فيصل

— ١ —

هذا منصرفى الآن من « المكتبة » . لقد قرأت الفصل الطويل الذى كتبه « الطبرى » عن « صفين » . وخرجت منه دامع الطرف ، حزين القلب ، تعلو وجهى كآبة مرة . . . ولكن الدنيا المشرقة تريدنى أن أضحك ؛ فكل ما حولى جميل ناعم . . . إن صفحة السماء لتوحى إلىّ بكثير من المعانى ؛ وإنها لتبعث فى نفسى ألوانًا من الحنان ؛ وإنى لأشعر بيد ناعمة طرية تدغدغ قلبى فيستكين لها وينبسط معها ؛ وتشيع فيه بوارق الأمل . . . كأنها كلمات السماء تُلقى إليه فى يأسه وخموله ، فيصحو وينتفض ويثب ويهفو مع النسمات البليلة ، ويتحسس هذا الجمال المبعثر هنا فى أفق السماء وجنبات الأرض

. . . لقد طرق سمعى صوت الساعة الضخمة القائمة فى حرم الجامعة ، كجرس الكنيسة ! . . . كأنها كانت تنعى هذا النهار المدبر إلى الناس الغافلين . . . فأنوار الشمس الساطعة تستحيل شيئًا فشيئًا إلى أنوار باهتة ليس لها ذاك الجبروت ولا تلك القوة ، والنسمات اللطاف تترنح فى هذا الجو ، والشجيرات القائمة على حفافى الشارع تبدأ رقصاتها الفاتنة ، وتثنّيها الرائع ، والشفق الناعى يتماوج بكل فتونه الناشئة كأنه يشارك الكون نعمته المتسقة البارعة

— ٢ —

. . . لشد ما ازدهتنى هذه الأمسية الحلوة . . . فانطلقت معها أطوف فى هذه « الضاحية الجامعية » وأنعم بالهدوء الذى يلفها بردائه الرقيق الرقيق فى مثل هذه الساعة المتأخرة من النهار حين يفارقها ضجيج المحاضرات وجلبة الطلبة ورنين الأجراس ، فلا تحس فيها تلك الحركة ، ولا تجد لها ذاك الاضطراب . . . وإنما يتعرك إحساس رفيع من قدسية العلم ، وسمو المعرفة ، وجلال الطلب

. . . لقد أخذت أذرع هذا الشارع الجميل الذى تنسحب على جانبيه الحدائق ، وتنبت فى أطرافه الزهور ؛ وتتغنى على شجيراته جماعات الطير . . . ولقد كان هذا الشارع إلى ساعات قريبة يمور بالحياة ، ويفيض بالنشاط ، ويتقد فيه العزم ، ويودع طوائف من الطلبة ، ليستقبل طوائف أخرى . . . ولكنه الآن ساكن هادئ . . . إنى لأخطو فيه وحيدًا ليس معى إلا هذه التأملات العميقة التى يثيرها فى ذهنى السكون الشامل . . . وإنى لأهيم بعد . . . فأمضى حيث تقودنى قدماى ؛ لا آخذ جهة ، ولا أحدد قصدًا . . .

— ٣ —

هأنذا فى منبسط من الأرض ، ممتد واسع . . . تنطلق فيه صفحة السماء واسعة عريضة ، كجنة الأمل ؛ وتتراقص فيه الأرواح مرحة عابثة بسنابل القمح القريبة ؛ . . . لقد بعدت عن العمران القائم ، والأبنية الضخمة . . . لكأنى أخطو الخطوات الأولى فى الريف . . . فأنا لا أسمع حركة « الترام » ، ولا جلبة السيارات . . . وأنا لا أرى من برج الساعة ، وقبة الجامعة ، إلا القمة العالية التى تشبه رأس الصخرة الطافى على سطح البحر وليس من حوالى إلا مزارع وحقول ، تتبعثر فيها الأكواخ ، وتمتد من حولها أبسطة العشب الندى

. . . يا لروعة المساء ! . . . كانت الشمس تجمع خيوطها المتناثرة لتنحدر نحو الأفق البعيد . . . وقطع السحاب الرقيق تسربل أجزاء من السماء كأنها ثوب ممزق على جسم إنسانة فقيرة . . . والأكواخ المتواضعة تودع النور الحبيب لتغوص فى لجج الليل . . . والأفق الزاهى يصطبغ بهذه الألوان العجيبة الماتعة . . . والدنيا كلها ترقب هذا الخط البعيد الذى تتصل فيه السماء بالأرض

. . . لقد كنت إلى حين أجفو أضواء الشمس ، وأنأى عنها وأحتمى منها بالظلال . . . ولكننى الآن أتقرب منها وأتحسسها وألحق بها من مكان إلى مكان ، كأنى أرثى لها هذا المصير ، وأخشى عليها سطوة الليل ، وأتمنى لها ألا تزول ؛ وأحاول أن أمسك بهذه الشعاعات . . . ولكنها تفر منى حتى لا تبقى منها إلا خيوط واهية على قمم الأشجار السامقة

وتقبل هذه الأشجار الأنوار الآفلة ؛ وترتعش أغصانها من حنى

الوداع ... وتنطوى الشمس على نفسها قرساً رائعاً فى الأفق البعيد تاقى آخر نظراتها التى بللتها الدموع الفانية على الأرض

... لطالما أعشت هذه الشمس عيوناً ونواظر ؛ كانت تتجه نحوها تحاول أن تنظر إليها ؛ ثم ارتدت عنها خاسئة حسيرة ... ولكنها الآن فى لحظاتها الأخيرة تبيح للناس أن يحدقوا فيها فقد ركبها العجز . وما عليها من ذلك ! وهى سجينة أسيرة فى يد الليل يحاول أن يقذف بها فى أحشائه العميقة ! ...

— ٤ —

... ورقبت هذا الصراع الهادئ بين أضواء النهار وظلمة الليل ... لقد جمعت له الشمس كل ما تستطيع ... حتى هذه الأنوار البعيدة التى كانت تغطى رأس « أبى الهول » وقمة « الهرم » ... ولكنها لم تجد سبيلاً إلى النجاة ؛ ولا يزال الليل يغير عليها ... ولا يزال هذا القرص الذهبى يتضاءل ويتضاءل ... والدماء الوردية تنسكب منه فتتناثر فى أطراف السماء ... لقد أضحى دائرة صغيرة آخذة فى انحدار سريع . . وإن الدائرة لتمس خط الأفق، ثم تغطس فى خضمه الهائل ... وتستسلم ... وترسل نظراتها الأخيرة فى ضراعة ووداعة وحب ... حتى إذا غامت فيه ؛ كان جناحاها الهشمان الممتدان على طرفيه ، يضطربان ويهتزان كما يهتز المصباح الضئيل قبل أن ينطفئ

... وانطلقت فى الدنيا نسمات سريعة كأنها كانت تحمل نبأ الصراع ، ونهاية المعركة ...

... وسكنت الطيور إلى أعشاشها تخاف على نفسها شر الليالى السود

... وأويت أنا إلى غرفتى مكدوداً ... بعد هذا الطواف الطويل

— ٥ —

سينجاب الليل ... وستشرق الشمس غداً على العالم ... وستتجدد الحياة فى أضوائها الساطعة ... ترى هل تنزاح الظلمات التى تملأ نفسى ... وهل أخرج من هذا الليل الطويل الذى أخبط فيه ... وهل يقدر لهذا القلب أن ينعم بالضوء والدفء والحياة المرحة ؟ ! !

... ترى هل يقدر ؟ ! .. نورك اللهم ! ...

« القاهرة » شكرى نجيب

سبلى

قصـــــة الحب ...

« يا شاعرى : إنك تحكى ما فى نفسى ... فتعال فى خطى بطيئة وبيدك هـذه الباقة الصغيرة تقدمها فى صفاء ... »

تختلط الينابيع بالنهر
وتنساب الأنهار من المحيط
وتنزل الرياح القادمة من السماء
إلى النسمات الوادعة .
ليس فى الحياة من يحيا وحده
كل ما فيها يمتزج
بقانون أزلى ثابت
فلم لا نكون : أنا وأنت

* * *

أتنظرى الجبال تقبّل السحب
والأمواج يعانق بعضها بعضاً
والزهرة الصغيرة لن يغتفر لها أحد
أن تتنامى أخاها الشقيق
أنظرى ...
ضياء الشمس يلامس الأرض
وأشعة القمر تقبل المحيط
هذه القبلات كلها ما نفعها
إذا لم تقبلينى أنت .

م . رشيد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :
السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فى مجلدين .
وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد